



أهم ما يبتدئ به أي ناصح حول التقوى هو باب العقيدة في الله، فهي أول ما ينبغي أن يتفقده المؤمن إذا أراد ولو ج باب التقوى، فالقلب السليم الذي هو مدار التقوى عماده الأساس نقاط العقيدة، والبعد عن الشبهات، والإيمان بصفات الله وأسمائه، وأعمال القلوب التي أساسها الثقة بالله سبحانه واللجوء إليه..

ثم يهمني هنا أن أؤكد على خطوات أساسية في سبيل التقوى قد توفر على الإنسان وقتاً طويلاً وبحثاً مرهقاً، فالماء إذا ذهبت به مدارات الحياة بعيداً عن التقوى استشعر فقداناً ما في قلبه، وت gioفاً فارغاً في صدره، لا يدرى سببه ولا يفهم كيف يسدده، فيبقى متقلباً بين وجهات مختلفات، يبحث فيها عن شفاء لعلته فلا يجد..

ذلك الماء يحتاج أن يكون صادقاً مع نفسه، واضحاً بشأن حاله، وعليه أن يقرر بكل حزم، هل هو يحتاج إلى القرب من الله سبحانه، والولوج في كنف التقى، أم إنه سعيد بحياته التافهة الهشة الفانية تلك التي يحياها باحثاً عما يشتهيه مكتفياً بالقرب على استحياء من معاني الاستقامة؟

فإن قرر السعي النوراني المخلص قرباً من مرضات الله سبحانه، فليعلم أن لذلك تبعات ومسؤوليات، أهمها تقديم محبة الله سبحانه ومرضاته على شأن الحياة وما فيها، والسعى بشكل تصاعدي نحو العبودية التامة لله رب العالمين، والتطهر من كل ذنب مضى، والندم عليه، والعزم الأكيد على الإصلاح المستقبلي مستعيناً في ذلك بالإخلاص لله والمتابعة لنبيه صلى الله

عليه وسلم.

الدافع الذي يمكن أن يستعين به هذا الساعي نحو التقوى، ليخرجه من حال الركون إلى حال السعي للجاد للعبودية، هو الإيمان باليوم الآخر، ووضعه نصب عينيه، والعمل له، والاستعداد للموت والرحيل عن الحياة في وقت ما، لا أقول هنا أن يدع دنياه وينطوي أو ينزو عنها بالكلية، بل يأخذ منها ما يصلح آخرته، من إصلاح فيها وإيجابية نحوها ونحو الناس من حوله فيما يرضي الله سبحانه ويكون عوناً له في طريقه..

يأتي هنا دور المراجعة الذاتية للنفس، ومحاسبتها، والوقوف على مدى تقصيرها في جنب الله سبحانه، ومن ثم المسارعة إلى التوبة النصوح والاستغفار المتکاثر المتتابع الملحق، حتى يستشعر من نفسه أنه وضع قدمه على باب الطهارة القلبية، والنقافة النفسية.

عندما يلجم إلى المناجاة بالدعاء والرجاء لرب الرحمن الرحيم سبحانه، معتزلاً مخلصاً، يسأل ربه من كل خبر، ويستعيد به من كل سوء، ويتوكل عليه في كل شأنه، متبرئاً من حوله وقوته إلى حول الله سبحانه وقوته..

إنها خطوات غير منقطعة، بل متداخلة، ومستمرة، ودائمة، ومتعددة، والمرء في كل خطوة يستطيع أن يرتقي في درجات تطبيقها أكثر فأكثر تبعاً لمدى إخلاصه وصدقه وجديته نحو هدفه..

ولاشك أنه عبر سيره ستعترضه العوائق وتعتوره العلاقة، لكنه عندئذ يستعين بربه لجوءاً ورجاءً ودعاً أن ينصره على تلك العوائق، ويقويه على تحفيظ العلاقة، فإن هبط به مسار الإيجابية في طريق الاستقامة ساعة فلا ينزعج، بل يسارع بالتوبة والاستغفار، ويحزم أمره، ويعود إلى السبيل من جديد، فالإيمان يزيد وينقص، وللشيطان لمة للملك لمة، فلينتهز لمة الملك ويستعيد بالله من لمة الشيطان..

ذلك المؤمن الجاد سيجد قلبه بعدها يتبدىء بالاستشعار بلذة التقوى وأثر سريانها في عروقه، قال سبحانه: "والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم" ... فيثبت على الخير الذي بلغه، ويسأل الله الزيادة، ويتعلم العلم الذي به يحافظ على صواب الأداء في العبودية، ويتخذ الخطوات التي بها يؤكّد جديته في قرار التقوى... فالصلوة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة، والأخلاق شعار الإيمان، وذكر الله أكبر.

صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: